معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH

Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 17, Special Issue, (2021), pp. 161-172
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328
Submission date: 4 May 2021
Accepted date: 18 June 2021

منهج ابن باديس في تنزيل آيات على الواقع من خلال تفسيره "مجالس التذكير": الجانب الدعوي أنموذجاً

IBN BADIS APPROACH IN DOWNLOADING VERSES ON REALITY THROUGH HIS INTERPRETATION REMINDER BOARDS: THE ADVOCACY SIDE IS A MODEL

Mahyuddin Hashim
Faculty of Quranic and Sunnah Studies, University Sains Islam Malaysia
71800, Bandar Baru Nilai, Negeri Sembilan, Malaysia.
E-mail: mahyuddin@usim.edu.my

Samia Baggash Al Hammadi
Faculty of Quranic and Sunnah Studies, University Sains Islam Malaysia
Doha, Qatar
E-mail: Sbj_1978@hotmail.com

الملخص

شهدت الجزائر أوضاعاً حرجة في فترة الاستعمار الفرنسي، مما دفع المصلح المجدد ابن باديس إلى البحث عن علاج لقضايا عصره، فلجأ إلى القرآن الكريم وعاش حياته خدمة لكتاب الله، يفسّره ويتدبره ويستنبط منه الأحكام وينزلها على واقعه، وعمل على تنزيل الآيات على قضايا متعددة، منها قضية الدعوة إلى الله. ويهدف هذا المقال إلى التعريف به وبعصره، وإبراز جهوده في تنزيل الآيات على الواقع في الجانب الدعوي، حتى أبيّن كيف عالج ابن باديس واقعه بتنزيل آيات القرآن عليه، واستخدمت في ذلك المنهج الاستقرائي والمنهج الوصفي، وتوصلت إلى أن ابن باديس يعد من روّاد الإصلاح في عصره، وقد جعل من الآيات القرآنية وسيلة لإصلاح المجتمع، وإلى مدى اهتمامه بالجانب الدعوي في تفسيره، واستخراج أحكام الدعوة وآداب الداعية من الآيات ومن ثَمّ تطبيقها على الواقع.

الكلمات المفتاحية: ابن باديس، الواقع، الدعوي.

ABSTRACT

Algeria witnessed a very critical time during the French colonial period, which prompted Ibn Badis, the one called as revivifier and reformer of his era, to look for solutions to the issues of his period. Ibn Badis resorted to the holy Qurʾān and designated his life to serve the book of Allah, interpreting and contemplating it, as well as extracting and deducing all regulations and provisions, applying them to his daily life. He also ensured proper installation of verses of the

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH

Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 17, Special Issue, (2021), pp. 161-172
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328
Submission date: 4 May 2021
Accepted date: 18 June 2021

Qurʾān to act as a solution to various issues, including spreading the message of Allah and informing people about Him. This article introduces *Ibn Badis* and shines a light on how he implemented and used his understanding of Qurʾānic verses to solve his daily life issues, specifically his journey of advocating and guiding people towards getting to know Allah. The paper employed inductive and descriptive analysis to achieve this goal and concluded that Ibn Badis is a pioneer of *reform* and uplifted his society using Qurʾānic verses. He was greatly interested in the *advocacy* aspect (getting people to know Allah) of interpreting the Qurʾān verses, where he extracted the *advocacy* rules, etiquettes of the advocator and then implemented them in his everyday life.

Keywords: Ibn Badis, Reform, Advocacy.

1. المقدمة

الحمد لله الذي أنزل الكتاب على عبده ولم يجعل له عوجاً، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، أما بعد:

فقد أنعم الله سبحانه وتعالى على أمة محمد ﷺ، وشرّفها بنزول القرآن الكريم عليها، وجعله دستوراً ومنهاجاً لإصلاح حياتهم، وقد تميّز هذا الكتاب الكريم بأنه شامل لكل جوانب الحياة، وصلاحه لكل زمان ومكان، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [سورة النحل:89]، فكل ما يحتاجه الناس في كل المجالات سواء العقدية أو التشريعية أو الاجتماعية قد ذكره الله عز وجل في القرآن، وأمر الله رسوله ﷺ بتفسير آياته وتوضيحها وبيانها للناس، فقال سبحانه: ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [سورة النحل:44].

وقد أقبل صحابة رسول الله ﷺ عليه تلاوةً وحفظاً ومدارسةً وتنزيلاً على واقعهم، فانتفعوا به بعد أن كانوا يعيشون في جاهلية عمياء، وفتح الله على أيديهم قلوباً غلفاً وآذاناً صماً وأعيناً عمياً، ولا شك أن من أهم الأمور التي ينبغي على المفسر القيام بها هي دعوة الناس إلى العمل بالقرآن وتنزيل آياته على الواقع الذي يعيشون فيه، والانتفاع بما جاء فيه من الهدى والنور.

والمسلمون اليوم في أمس الحاجة إلى العودة إلى القرآن، تلاوةً وتدبراً وعملاً؛ خاصة ونحن نعيش في واقع كثرت فيه الفتن، وكثرت فيه المستجدات العصرية، فأصبحت الحاجة شديدة إلى تنزيل آيات القرآن عليها، ومن هنا جاءت فكرة هذا البحث؛ ليكون لي دور في إصلاح المجتمع، ولإثراء البحوث العلمية بموضوع قرآني معاصر يعالج

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 17, Special Issue, (2021), pp. 161-172
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328
Submission date: 4 May 2021
Accepted date: 18 June 2021

قضايا حديثة، خاصة أن ابن باديس كان من المفسرين المعاصرين، فقد أدرك واقعنا الحالي، واهتم بتنزيل الآيات على الواقع في جوانب عديدة، منها الجانب الدعوي، وقد اتبعت فيه المنهج الاستقرائي والمنهج الوصفي، حيث قرأت تفسيره وبحثت عن تنزيله للآيات التي تتعلق بالجانب الدعوي، ثم وصفت منهجه في تنزيلها على الواقع.

فمن هو ابن باديس؟ وما المنهج الذي سار عليه في تنزيل الآيات المتعلقة بالجانب الدعوي على الواقع؟ هذا ما سيجيب عليه هذا البحث من خلال المبحثين التاليين:

المبحث الأول: ترجمة موجزة عن ابن باديس وتفسيره وعصره

المطلب الأول: حياته الشخصية والعلمية

المطلب الثاني: التعريف بتفسيره

المطلب الثالث: تعريف موجز بعصره

المبحث الثاني: منهج ابن باديس في تنزيل الآيات المتعلقة بالجانب الدعوي على الواقع

المطلب الأول: أساليب الدعوة إلى الله

المطلب الثاني: منهج ابن باديس في تنزيل الآيات المتعلقة بالجانب الدعوي على الواقع

2. المبحث الأول: ترجمة موجزة عن ابن باديس وتفسيره وعصره

2.1 المطلب الأول: حياته الشخصية والعلمية:

أولاً: حياته الشخصية

هو عبد الحميد بن محمد بن المصطفى بن مكي بن باديس وينتهي نسبه إلى جده الأكبر المعز بن باديس مؤسس الدولة الصنهاجية[1] الأولى التي خلفت دولة الأغالبة[2] على مملكة القيروان.

ولد بمدينة قسنطينة في اليوم العاشر من شهر ربيع الآخر سنة 1307هـ، الموافق لليوم الرابع من ديسمبر سنة 1889م، من عائلة عريقة في حسبها ونسبها اشتهرت بالعلم والثراء.

كانت أسرته منذ القدم مسيرة للسياسة والحكم في المغرب الإسلامي، تميزت بالجاه والعلم وكان لها باع طويل في تمثيل المجتمع القسنطيني في النيابة والمجالس المحلية، مما كان له أثر في تكوين شخصية ابن باديس ومواهبه العلمية

[1] صنهاجة: "قومٌ بالمغْرِب من البَرابر من أوْلاد صِنْهاجَةَ الحِمْيَرِيّ، وكان مع إفْرِيقِيسَ بنِ قَيْس بإفْرِيقِيَةَ، وبه سُمّيت"، الصغاني، الحسن بن محمد بن الحسن، 1970م، التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية، باب: صهج، القاهرة: مطبعة دار الكتب، ج1، 458.

[2] الأغالبة: قامت دولة الاغالبة في أفريقيا عام 184هـ/800م بعد أن سادت البلاد فوضى وصراع مذهبي وثورات الجند العرب والبربر في الفترة الممتدة من خلافة هشام بن عبد الملك إلى نهاية الدولة الاموية. وعزب: محمد زينهم محمد، 1988م، تاريخ مملكة الأغالبة لابن وردان، القاهرة: مكتبة مدبولي، ط1، ص5.

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 17, Special Issue, (2021), pp. 161-172
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328
Submission date: 4 May 2021
Accepted date: 18 June 2021

والفقهية والسياسية[3]، سافر لطلب العلم، وأفنى حياته في النضال العلمي والاجتماعي والسياسي، كان يرشد ويعلّم ويحرر ويتنقل، لم يشفق على نفسه أو صحته، بل أفنى عمره في سبيل عقيدة ورسالة عظمى.

توفي ابن باديس مساء الثلاثاء 8 ربيع الأول سنة 1359 للهجرة الموافق للسادس عشر من إبريل سنة 1940 للميلاد، فتحركت قسنطينة بأكملها لتشييع جنازته، وكان يوماً مشهوداً، ودفن في روضة أسرته بحي الشهداء قرب مقبرة قسنطينة [4].

ثانيا: حياته العلمية

عُرف ابن باديس في دراسته بالجد والنشاط، وتخرج بشهادة التطويع سنة 1911- 1912م وعمره ثلاث وعشرون سنة، درّس في جامع الزيتونة سنة واحدة، وكان له اتصالاً قوياً بالشيخ محمد الطاهر بن عاشور[5]، والشيخ محمد النخلي[6]، اللذان كانا زعيمي النهضة الفكرية والعلمية والإصلاحية في تونس، عاد ابن باديس إلى الجزائر وهو شعلة من الحماس، فقصد الجامع الكبير وبدأ بإلقاء الدروس، ولكن الأعداء ضيقوا عليه، فقرر السفر إلى الحج سنة 1331هـ الموافق 1913م، وهناك التقى بشيخه حمدان الونيسي، واتصل بجماعة من المفكرين والعلماء من مختلف العالم الإسلامي، منهم الشيخ حسين الهندي[7]، بدأ ابن باديس دروسه بعدد محدود من التلاميذ ومع مرور الأيام أصبحوا طبقات، وتكونت لهم مؤسسة تعليمية شاملة أشبه ما تكون بجامعات اليوم، وأصبح الجامع الأخضر مدرسة لتكوين القادة.[8]

اهتم ابن باديس بتفسير القرآن الكريم، وراعى فيه مقتضيات العصر، وكان محدّثاً ولا يستشهد إلا بالأحاديث الصحيحة من الكتب الستة، درس الموطأ كاملاً واعتبره منهجاً في الاستدلال، كما كان فقيهاً أيضاً اطلع على مدارك المذاهب، خاصة مذهب الإمام مالك، جمع بين الأصول والفروع، يفتي ويربط الحوادث بأحكامها.[9]

---

[3] المرجع نفسه، ص115.

[4] فهمي توفيق محمد مقبل، مارس 2003م، *عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والنهضة في تاريخ الجزائر الحديث*، مجلة الدرعية، السنة الخامسة، العدد العشرون، ص 228. والطالبي، عمار، 1968م، *آثار ابن باديس*، الجزائر: الشركة الجزائرية، ص72 – 76.

[5] من كبار علماء الزيتونة، ولد بتونس سنة 1879م وتوفي سنة 1973م، له مؤلفات كثيرة أشهرها (التحرير والتنوير) في التفسير.

[6] شاعر وفقيه من أعلام مدرسي جامع الزيتونة، كان متأثراً بمدرسة عبده والأفغاني، ولد بالقيروان سنة 1862م وتوفي سنة 1924م.

[7] حسين الهندي: من علماء المسجد النبوي الشريف في بداية القرن العشرين، وقف في وجه الثورة العربية الكبرى مما أدى إلى نفيه إلى مالطا أولا ثم إلى الهند، وهناك تولى رئاسة العلماء بمدينة ديوبند. ومطبقاني. مازن صلاح، 1999م، *عبد الحميد بن باديس العالم الرباني والزعيم السياسي*، دمشق: دار القلم، ط2، ص35.

[8] مطبقاني، مازن صلاح، *عبد الحميد بن باديس العالم الرباني والزعيم السياسي*، ص35-55.

[9] المرجع نفسه، ص35-55.

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 17, Special Issue, (2021), pp. 161-172
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328
Submission date: 4 May 2021
Accepted date: 18 June 2021

تميزت حياته العلمية بالنقد المنهجي الذي يرد فيه الفروع إلى أصولها، وكان كاتباً ذا أسلوب سهل وسلس غير متكلف، اهتم بالصحافة وقراءة المجلات والجرائد ومناقشة ما كُتب فيها والتعليق عليها، كما كان شاعراً وخطيباً فصيحاً، ومصلحاً اجتماعياً يحارب التقليد والبدع، وهو مؤرخ يحلل الحضارة وينقد مقدمة ابن خلدون.[10]

2.2 المطلب الثاني: التعريف بتفسيره

رأى ابن باديس رحمه الله أنه لا فلاح للمسلمين إلا بالرجوع إلى القرآن، والاستقامة على طريقته، خاصة أن العصر الذي عاش فيه كان الاستعمار الفرنسي قد جعل أبناءه يعيشون في أمراض اجتماعية، ناتجة عن الاستعمار الذي أرهقهم، فاقتصر على إلقاء دروس التفسير دون تدوين أي شيء منها؛ لأنه كان يرى أن في الكتابة مشغلة عن العمل الذي هو مقدّم عن التدوين لشعب أنهكته الأمراض.

كان يريد الجمع بين الحسنيين لولا أنه كان مشغولاً بتعليم جيل وتربية أمة، فعكف على إلقاء دروس التفسير إلى أن ختمه عام 1357هـ، واستغرق ذلك خمس وعشرين سنة، وكان يكتب مجالس معدودة من تلك الدروس، وينشره في أعداد لمجلة الشهاب، ويسميها (مجالس التذكير)، وهذه المجالس هي التي تصدى لها السيد أحمد بوشمال[11] لتجريدها من مجلة الشهاب، ونشرها كتاباً مستقلاً، قياماً بحق الوفاء للإمام الفقيد، وإحياء لذكراه بأشرف آثاره.[12]

مصادره في دروس التفسير:

تفسير ابن جرير الطبري، وتفسير الكشاف، وتفسير أبي حيان الأندلسي، وتفسير الرازي، وغيرها من كتب التفسير والحديث والأحكام.[13]

2.3 المطلب الثالث: تعريف موجز بعصره

عاش ابن باديس في فترة الاستعمار الفرنسي على الجزائر، وقد دخل الاستعمار الفرنسي إلى الجزائر عام 1830م، وسعى جاهداً في تحطيم الشعب الجزائري والقضاء على مقوماته الشخصية، وحارب الإسلام والعلم والعروبة[14]، وقد كان في مدينة الجزائر وحدها يوم دخلها الاستعمار سنة 1830م مائة وستة مساجد، وعندما حرر

---

[10] الطالبي، عمار، *آثار ابن باديس*، ج1، ص92.

[11] شريك ابن باديس في أعماله، وعضده الأيمن، وأمين سره منذ ابتداء حركته، ولد في شمال قسنطينة، عام 1899م، نشأ بها وحفظ القرآن كاملاً، وهو من تلاميذ ابن باديس الأولين، تبرع أن يكون محله التجاري مكاناً للمطبعة الجزائري الإسلامية، وكان مدير لجريدة الشهاب، تولى رئاسة قسم الشبان في جمعية التربية والتعليم، وانتخب عضواً في المجلس الإداري لجمعية العلماء عام 1948م. وحمياني، أحمد، 1984م، *صراع بين البدعة والسنة*، الجزائر: دار البعث، ص 112-115.

[12] ابن باديس، عبد الحميد، 1995م، *تفسير ابن باديس (مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير)*، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، ص21.

[13] المرجع نفسه، ص41.

[14] المدني، أحمد توفيق، 2001م، *هذه هي الجزائر*، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ص96.

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 17, Special Issue, (2021), pp. 161-172
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328
Submission date: 4 May 2021
Accepted date: 18 June 2021

الجزائريون بلادهم سنة 1961م لم يكن في عاصمة الجزائر أكثر من ثمانية مساجد فقط، واختفى 98 مسجداً، فبعد دخول الاستعمار الفرنسي إلى أرض الجزائر أصبحت كل المساجد والمؤسسات الإسلامية من ممتلكات الدولة الفرنسية الخاصة بها، تفعل بها ما تشاء، فهدمت منها ما هدمت، وحولت بعضها إلى كنائس للنصارى، وبعضها ثكنات للجيش والشرطة، واصطبلات للخيل والدواب، ولم تسمح للمسلمين بإقامة شعائر دينهم إلا بواسطة موظفيها ورجالها ومن يقدمون للاستعمار ما يوجب رضاه، ولا يبقون إلا ما داموا عاملين على مرضاته، وقد طالب المسلمون جميعاً وعلى رأسهم جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تنفيذ نفس القوانين الفرنسية التي تقتضي فصل الدين عن الدولة وقيام كل طائفة دينية بأمور دينها باستقلال، فبينما يستقل اليهود والنصارى بأمور دينهم إلا أن الاستعمار الفرنسي يرفض رفضاً باتاً إرجاع الدين الإسلامي بمساجده وأوقافه وموظفيه إلى جماعة المسلمين، فاضطر المسلمون لمقاطعة المساجد الفرنسية الحكومية وأخذوا يؤسسون لأنفسهم مساجد حرة وقاموا بالنفقة على بنائها ورعايتها بما يجب لمساجد الإسلام من رعاية واحترام.[15]

عملت فرنسا على محاربة اللغة العربية بشتى الوسائل للحد من تعلمها وانتشارها، واعتبرت اللغة العربية لغة أجنبية؛ واللغة الفرنسية هي اللغة الرسمية في البلاد؛ لأن ذلك يشكل خطراً على الوجود الفرنسي، ويقضي على مخططاته الهادفة إلى فرنسة الجزائريين، والقضاء على أصالتهم[16]، وقد وصلت الجزائر في ظل الاستعمار إلى مرحلة يتفطر القلب لها حزناً كما وصفها ابن باديس بقوله: " ترانا في حالة من الجهل والفقر والتفرق والذل والاستبعاد يرثى لها الجماد".[17]

3. المبحث الثاني: منهج ابن باديس في تنزيل الآيات المتعلقة بالجانب الدعوي على الواقع

وصف ابن باديس واقعه الذي وصل إلى حد كبير من الجهل فقال: "وها نحن قد بلغ الحال بنا إلى ما بلغ إليه من الجهل بحقائق الدين، والجمود في فهمه، والإعراض عن العمل به، والفتور في العمل"[18] ثم حث الدعاة على مقاومة الجهل، وبيان الحقائق العلمية بأدلتها، فقد كان مهتماً بدعوة الناس بالقرآن والسنة –خاصة أن واقعه كان يعيش في فترة الاستعمار الذي أراد أن يبعد الناس عن دينهم الحنيف– وبيّن لهم أن تذكير الناس يكون بهما فقال: "فالقرآن وبيانه القولي والعلمي من سنة النبي ﷺ بهما يكون تذكير العباد ودعوتهم لله رب العالمين، ومن حاد في

---

[15] المدني، أحمد توفيق، *هذه هي الجزائر*، ص146–149. والعسيلي، بسام، 1983م، *عبد الحميد بن باديس وبناء قاعدة الثورة الجزائرية*، بيروت: دار النفائس، ط2، ص29.

[16] المرجع نفسه، ص 146–149. والمرجع نفسه، ط2، ص 29.

[17] الطالبي، عمار، *آثار ابن باديس*، ج1، ص399.

[18] ابن باديس، عبد الحميد، *تفسير ابن باديس (مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير)*، ص321.

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 17, Special Issue, (2021), pp. 161-172
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328
Submission date: 4 May 2021
Accepted date: 18 June 2021

التذكير عنها ضل وأضل وكان ما يضر أكثر مما ينفع إن كان هناك من نفع"[19]، وفي المطلب التالي سأبين كيف نزل ابن باديس قول الله عز وجل: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥﴾ [سورة النحل:125] على واقعه.

3.1 المطلب الأول: أساليب الدعوة إلى الله

استنبط ابن باديس رحمه الله طرق وأساليب الدعوة إلى الله عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ١٢٥﴾ [سورة النحل:125] وقد أشارت الآية الكريمة إلى ثلاثة أساليب:

أ- الحكمة.

ب- الموعظة الحسنة.

ت- المجادلة بالتي هي أحسن

وسأذكر ما جاء في تفسيره في هذه الأساليب الثلاثة، على النحو التالي:

أولاً: الحكمة

عرّف ابن باديس الحكمة بأنها: "العلم الصحيح الثابت، المثمر للعمل المتقن المبني على ذلك العلم".[20]

ثم ذكر أنواع الحكمة التي يتصف بها الداعية فقال: "فالعقائد الحقة والحقائق العلمية الراسخة في النفس رسوخاً تظهر آثاره على الأقوال والأعمال- حكمة، والأعمال المستقيمة، والكلمات الطيبة التي أثمرتها تلك العقائد- حكمة، والأخلاق الكريمة كالحلم والأناة- وهي علم وعمل نفسي- حكمة، والبيان عن هذا كله بالكلام الواضح الجامع- حكمة؛ تسمية للدال باسم المدلول".[21]

ونلاحظ أنه جمع في أنواع الحكمة أعمال القلوب وأعمال الجوارح، فكل هذا من الحكمة، واستدل على ذلك بقول الله عز وجل: ﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوۡحَىٰٓ إِلَيۡكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلۡحِكۡمَةِۗ وَلَا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلۡقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومٗا مَّدۡحُورًا ٣٩﴾ [الإسراء: 39]، حيث جاءت هذه الآية بعد ذكر الله جل وعلا للعقائد الحقة، والحقائق العلمية، والأعمال المستقيمة، والكلمات الطيبة، والأخلاق الكريمة، ويرى ابن باديس أن الحكمة التي أمر الله نبيه بدعوة الناس إليها هي:

---

[19] الطالبي، عمار، *آثار ابن باديس*، ج1، ص127.

[20] ابن باديس، عبد الحميد، *تفسير ابن باديس (مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير)*، ص320.

[21] المرجع نفسه، ص320.

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 17, Special Issue, (2021), pp. 161-172
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328
Submission date: 4 May 2021
Accepted date: 18 June 2021

"البيان الجامع الواضح للعقائد بأدلتها، والحقائق ببراهينها، والأخلاق الكريمة بمحاسنها، ومقابح أضدادها، والأعمال الصالحة: من أعمال القلب واللسان والجوارح بمنافعها ومضارّ خلافها".[22]

وذكر في تفسيره أن من الحكمة في الدعوة مخاطبة الناس بما يفهمونه[23]، وعدم الحكم على أحد منهم بالكفر أو الفسق أو أنه من أهل النار؛ بل يبين لهم الخطر الذي هم عليه، وضرره وعاقبته، وأن الداعية "ما عليه إلاّ تبليغ الدعوة، ونصرة الحق بالحق، والهداية والدلالة إلى دين الله وصراطه المستقيم".[24]

ثانياً: الموعظة الحسنة

عرّف ابن باديس الموعظة بقوله: "الوعظ والموعظة، الكلام الملين للقلب، بما فيه من ترغيب وترهيب فيحمل السامع- إذا اتعظ وقبل الوعظ، وأثر فيه- على فعل ما أمر به وترك ما نهي عنه. وقد يطلق على نفس الأمر والنهي".[25] ثم نزّل هذا التعريف على واقع الدعاة، فذكر الأمور التي تكون بها الموعظة، فقال: "يكون الوعظ بذكر أيام الله في الأمم الخالية، وباليوم الآخر، وما يتقدمه، وما يكون فيه من مواقف الخلق وعواقبهم، ومصيرهم إلى الجنة أو النار، وما في الجنة من نعيم، وما في النار عن عذاب أليم، وبوعد الله ووعيده، وهذه أكثر ما يكون بها الوعظ. ويكون بغيرها كتذكير الإنسان بأحوال نفسه، ليعامل غيره بما يحب أن يعامل به، وهو من أدق فنون الوعظ وأبلغها".[26]

وهذه الأمور التي ذكرها تميزت بالشمول والتنوع؛ حيث ذكر فيها العقائد والعبادات، والأخلاق والمعاملات، ونلاحظ أنه تدرّج فيها بالأهم ثم المهم، وذلك لإعانة المدعو على تطبيقها.

وبعد ذكره لجوانب الموعظة ذكر كيف تكون هذه الموعظة؛ لينتفع الناس بها، فليس كل موعظة -مهما كانت أهميتها- يتقبلها المدعو، ولذا نجد ابن باديس يحث الدعاة على أن تكون دعوتهم بالموعظة الحسنة التي "حسن لفظها؛ بوضوح دلالته على معناها، وحسن معناها بعظيم وقعه في النفوس، فعذبت في الأسماع، واستقرت في القلوب، وبلغت مبلغها من دواخل النفس البشرية، فأثارت الرغبة والرهبة، وبعثت الرجاء والخوف، بلا تقنيط من رحمة الله، ولا تأمين من مكره، وانبعثت عن إيمان ويقين، ونادت بحماس وتأثر، فتلقتها النفس من النفس، وتلقفها القلب من القلب، إلاّ نفساً أحاطت بها الظلمة، وقلباً عَمَى عليه الران".[27]

---

[22] المرجع نفسه، ص321.
[23] المرجع نفسه، ص103.
[24] المرجع نفسه، ص116.
[25] المرجع نفسه، ص322.
[26] المرجع نفسه، ص322.
[27] المرجع نفسه، ص323.

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 17, Special Issue, (2021), pp. 161-172
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328
Submission date: 4 May 2021
Accepted date: 18 June 2021

وفي كلامه السابق نجد أنه جعل جانبين للحسن في الموعظة: وهما الحسن في اللفظ، والحسن في المعنى، والنفس البشرية تتطلع دائماً إلى ما يُصلح دينها ودنياها، وقد وُفق في طرح هذين الجانبين، فإذا وجد المدعو معنى حسناً ينتفع به، بأسلوب حسن يصاحبه اللطف، وقع أثر النصيحة في قلبه، وانتفع بها في حياته.

ثم وصف حال بعض الدعاة والخطباء في مجتمعه فقال: "أكثر الخطباء في الجمعات اليوم في قطرنا يخطبون الناس بخطب معقدة، مسجعة طويلة، من مخلفات الماضي، لا يراعى فيها شيء من أحوال الحاضر وأمراض السامعين، تلقى بترنم وتلحين، أو غمغمة وتمطيط، ثم كثيراً ما تختم بالأحاديث المنكرات، أو الموضوعات.

هذه حالة بدعية في شعيرة من أعظم الشعائر الإسلامية، سد بها أهلها باباً عظيماً من الخير فتحه الإسلام، وعطلوا بها الوعظ والإرشاد وهو ركن عظيم من أركان الإسلام. فحذار أيها المؤمن من أن تكون مثلهم إذا وقفت خطيباً في الناس، وحذار من أن تترك طريقة القرآن والمواعظ النبوية إلى ما أحدثه المحدثون".[28]

ولما كان الدعاة من الخطباء في عصر ابن باديس يتكلفون في إلقاء خطبة الجمعة، ولا يراعون أحوال الحاضرين، ناسب أن ينزل الآية المذكورة من سورة النحل على ما حدث في واقعه، ويوجّه نصيحة للدعاة بعدم التكلف في الخطاب، وتجنب الأحاديث المنكرة والموضوعة، والحرص على اتباع ما جاء في القرآن من أساليب دعوية.

ثالثاً: الجدال بالتي هي أحسن

يواجه الداعية في كل زمان ومكان من يقف في طريقه إما بالقول أو العمل، وهنا نجد ابن باديس يلفت نظر الدعاة إلى ذلك فيقول: "لا بد أن يجد داعية الحق معارضة من دعاة الباطل، وأن يلقى منهم مشاغبة بالتشبهات، واستطالة بالأذى والسفاهة؛ فيضطر إلى رد باطلهم وإبطال شغبهم، ودحض شبههم، وهذا هو جدالهم ومدافعتهم الذي أمر به نبيه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بقوله: ﴿وَجَٰدِلۡهُم﴾ [سورة النحل:125]".[29] ثم بين للدعاة كيف يكون الجدال بالتي هي أحسن وذلك بتجنب كلماتهم الباطلة، وطرائقهم المتناقضة، وأن يلتزم في جدالهم كلمة الحق والكلمات الطيبة، وأن يسلك في مدافعتهم طريق الرفق والوقار، دون فحش ولا فظاظة، ثم ذكر أن هذه هي الطريقة التي أمر الله نبيه -صلى الله عليه وسلم- بالجدال بها في قوله: ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [سورة النحل:125].[30]

[28] المرجع نفسه، ص324.
[29] المرجع نفسه، ص324.
[30] المرجع نفسه، ص325.

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 17, Special Issue, (2021), pp. 161-172
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328
Submission date: 4 May 2021
Accepted date: 18 June 2021

ويرى ابن باديس أن الغلظة والفحش في القول والفعل لا تُجدي شيئاً، وعلى الداعية أن يلتزم بما جاء في الكتاب والسنة من بيان لكيفية المجادلة بالتي هي أحسن، ويستنبط منهما الأحكام، ثم يسير على ذلك المنهج.

ثم لفت انتباه الداعية إلى الحذر من أن يطغى عليه خلق المدافعة والمغالبة، فتصبح الخصومة له خلقاً، وبالتالي يصبح مندفعاً في كل شـــيء، ولا يبالي بحق ولا باطل؛ بل يبحث عن الغلبة على أي حال.[31] وأن يكون قصـــده دائماً إحقاق الحق وإبطال الباطل، وإقناع الخصـــم بالحق وجلبه إليه؛ فيقتصـــر من كل حديثه على ما يحصـــل له ذلك، ويتجنب ذكر العيوب والمثالب، اقتداء بهذا الأدب القرآني النبوي في التجاوز مما في القوم عن كثير، وفي ذكر العيوب والمثالب خروج عن القصـــد وبعد عن الأدب، وتَعَدٍّ على الخصـــم وإبعاد له، وتنفير عن الاســـتماع والقبول، وهما المقصود من الدعوة والمناظرة.[32]

ثم وجّه ابن باديس موعظة بليغة لكل داعية بأن يدعو ولا ينقطع عن الدعوة ولو لم يتبعه أحد، لأنه يعلم أن أمر الهدى والضـــلال إلى الله، وإنما عليه البلاغ، وأن يصـــبر على ما يلقى من إعراض وعناد وكيد وأذى، دون أن يجازي بالمثل، أو يفتر في دعوته من أذاه؛ لعلمه بأن الذي يجازي إنما هو الله.[33]

ونخلص مما سبق إلى أن ابن باديس كان بصيراً بواقعه، ومعرفة ما يسير عليه الدعاة والخطباء في المساجد، وحاول معالجة هذا الواقع بتنزيل قول الله عز وجل: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ١٢٥﴾ [سورة النحل:125] على تصحيح مسار الدعاة، وعلى معالجة ما كان يحدث في عصره.

3.2 المطلب الثاني: منهج ابن باديس في تنزيل الآيات المتعلقة بالجانب الدعوي على الواقع

لعلنا نخلص في نهاية هذه المقالة إلى منهج ابن باديس في الدعوة من خلال تفسيره، حيث كان ابن باديس فقيهاً بواقعه، عالماً بما يدور فيه، مهتماً بإصلاحه ودعوته، وقد استمد المفاهيم الدعوية التي سار عليها من القرآن الكريم، وسار على منهج السلف الصالح في تفسير الآيات فكان تركيزه على الدعوة إلى العقيدة الصحيحة كما فهمهما السلف الصالح، ونبّه الدعاة إلى عدم الابتداع والإحداث في الدين بما ليس منه.

واهتم بتربية الدعاة وتوجيههم إلى الطريقة الصحيحة في الدعوة؛ فنبّه إلى الأخلاق التي يتصف بها الداعية، وطريقة الدعوة كما وصفها القرآن، بالحكمة والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن عند الحاجة إلى ذلك، وكان منهجه في ذلك التفصيل، فقد استطرد كثيراً في تفسير الآية المذكورة في سورة النحل، لكن طبيعة هذه المقالة تقتضي الاختصار ولذا لم أذكر فيها كل ما ذكره ابن باديس من تفصيل.

---

[31] المرجع نفسه، ص326.
[32] المرجع نفسه، ص329.
[33] المرجع نفسه، ص327.

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 17, Special Issue, (2021), pp. 161-172
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328
Submission date: 4 May 2021
Accepted date: 18 June 2021

وقد سلك طريقة فريدة في تفسيره تناسبت مع عنوانه (مجالس التذكير)؛ حيث جعل عنواناً جانبياً لكل فقرة، ومن أبرز العناوين التي كتبها في تنزيل الآيات المتعلقة الجانب الدعوي: تطبيق – توجيه – تأسٍّ ورجاء – أدب واقتداء – اهتداء واقتداء – سلوك.

4. نتائج البحث

نستخلص من هذا البحث النتائج التالية:

- يُعد ابن باديس من روّاد الإصلاح في عصره، وقد جعل من الآيات القرآنية وسيلة لإصلاح المجتمع.
- جاء تفسير ابن باديس مليئاً بتنزيل الآيات على الواقع؛ حيث جعل من القرآن الكريم علاجاً لأمراض عصره التي كثرت في فترة الاستعمار الفرنسي.
- اهتم ابن باديس بالجانب الدعوي في تفسيره، واستخراج أحكام الدعوة وآداب الداعية من الآيات ومن ثَمّ تطبيقها على واقعهم.

REFERENCES(المصادر والمراجع)

[1] Ahmad Tawfiq. (2001M). *Hadhih Hi Aljazayir*, Alqahirt, Maktabat Alnahdat Almisriat.

[2] Aldaamir. Eabd Aleaziz Eabd Alrahmin. (2007M). *Tanzil Alayat Ela Alwaqie Eind Almufasirina*, Daby, Almajlis Alwataniu Lil'iielam Bidawlat Al'iimarat.

[3] Aleasiliu, Bisam. (1983M). *Eabd Alhamid bin Badis Wabina' Qaeidat Althawrat Aljazayiriat*, Biuruta, Dar Alnafayis.

[4] Alfarahidi. Bu Eabd Alrahmin Alkhalil bin 'Ahmad. (n.d). *Kitab Aleayn*. Lubnana, Dar Wamuktabat Alhilali. da.t.

[5] Aljawhri. Baw Nasr 'Iismaeil bin Hamad. (1987M). *Alsahah Taj Allughat Wasahah Alearabiati*, Biuruta, Dar Aleilm Lilmalayin.

[6] Aljurjani. Eali bin Muhamad bin Eali Alziyn. (1983M). *Kitab Altaerifat*, Biruta, Dar Alkutub Aleilmiat.

[7] Alkifwi. 'Ayuwb bin Musaa Alhusaynii Alqarimi. (n.d). *Alkuliat Muejam Fi Almustalahat Walfuruq Allighawiati*, Biruta, Muasasat Alrisalat.

[8] Alnujaru. Eabd Almajid. (1993M). *Liafat Al'iinsan Bayn Alwahii Waleuql*, Firjinia, Almaehad Alealamii Lilfikr Al'iislami.

[9] Alsaghani, Alhasan bin Muhamad bin Alhasan. (1970M). *Altakmilat Waldhiyl Walsilat Likitab Taj Allughat Wasahah Alearabiat, Al.*

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH

Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 17, Special Issue, (2021), pp. 161-172
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328
Submission date: 4 May 2021
Accepted date: 18 June 2021

[10] Alshaerawi. Muhamad Mitawali. (1997M). *Tafsir Alshaerawii – Alkhawatira*, Msr: Matabie 'Akhbar Alyawmi.

[11] Altalibi, Eamar. (1968M). *Athar Ibn Badis*. AlJazayr, Alsharikat Aljazayiriat.

[12] Alzbidi. Mhmmd bin Mhmmd bin Eabd Alrzzaq Alhusini. (n.d). *Taj Aleurus Min Jawahir Alqamwsa*, Alkuayta, Dar Alhday.

[13] Eazba: Muhamad Zaynahum Muhamad. (1988M). *Tarikh Mamlakat Al'ughalibat Liaibn Warudan*, Alqahirt, Maktabat Madbuliun.

[14] Fahamiu Tawfiq Muhamad Muqbil, Maris. (2003M). *Eabdialhmid bin Badis Rayid Althawrat Walnahdat Fi Tarikh Aljazayir Alhadith.*

[15] Hamiani, 'Ahmad. (1984M). *Sirae Bayn Albideat Walsanat*, Aljazayir, Dar Albueth.

[16] Ibn Badis, Eabd Alhamid. (1995M). *Tafsir bn Badis, (Mjalis Altadhkir Min Kalam Alhakim Alkhbyr)*, Birut, Dar Alkutub Aleilmia

[17] Ibn Faris. Hamd bin Faris bin Zakria' Alqzwiny. (1979M). *Muejam Maqayis Allighati*, Dar Alfikr.

[18] Ibn Manzur. Muhamad bin Mukrim bin Ealaa. (1414H). *Lisan Alearab*, Biuruta, Dar Sadr.

[19] Mutbiqani. Mazin Salah. (1999M). *Eabd Alhamid bin Badis Alealam Alrabaaniu Walzaeim Alsiyasi*, Dmshq, Dar Alqlm.